حول ضرورة الانتقال من المشافهة إلى الكتابة، التعبير كفاءة (كفاءة كتابية، الكفاءة والممارسة...)

تعتبر اللغة نسقا من الإشارات والرموز الصوتية، يستخدمها الإنسان بهدف التواصل مع البشر، والتعبير عن مشاعره، واكتساب المعرفة،...يقول ابن جني في حدّ اللغة هي : " أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم "، أمّا ابن حزم فيرى أنّها: "ألفاظ يعبر بها عن المسميات، وعن المعاني المراد إفهامها، ولكل أمة لغتهم". فاللغة في الأساس ذات طبيعة صوتية كما ذكر ابن جني، وقد استخدمها الإنسان وفق هذه الطبيعة فصاغها في قوالب شفوية يتعاورها مرسل ومستقبل، تحكمهما المواجهة المباشرة. فأفرزت لنا تعبيرا شفويا آنيا يقوم على التحدث والاستماع.

ومع مرور الأيام وتقدم الحياة وتراكم التجارب والخبرات، احتاج الإنسان إلى نقل أفكاره وخبراته وتجاربه إلى متلقين آخرين بعيدين عنه مكانا وزمانا، ففكر في وسيلة تتيح له تحقيق ذلك. فاهتدى إلى اختراع الكتابة التي أصبحت ترجمة ثابتة للأصوات يتم تلقيها عبر البصر، تساعد الإنسان على صناعة الأفكار والآراء، وتسجيل الحوادث والأخبار. وهنا بزغ فجر التعبير الكتابي.

فماذا نعني بالتعبير الكتابي؟ وما علاقته بالكفاءة؟

مفهوم الكفاءة:

الكفاءة والكفاية **لغة** كما ورد في معاجم اللغة، الفعل كفأ، كافأه مكافأة جازاه، وقولهم مالي به أي مالي به طاقة على أن أكافئة، يقول حسان بن ثابت عن جبريل عليه السّلام: « وروح القدس ليس له كفاء» أي نظير ومثيل، فالكفء هو النّظير والمساوي، وقوله تعالى في سورة الإخلاص:﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الآية4 ، أي ليس له مثيل أو ند، وجاء في المنجد ":كفاه الشّيء يكفي كفاية استغنى به عن غيره، فهوكافٍ وكفِيٌّ، وكفى كفاية إذا قام بالشّيء."

أمّا **اصطلاحا** فهذا المفهوم يشوبه كثير من الغموض والتّشعّب، وقد أكّد الباحثون وجود أكثر من مئة تعريف لهذا المصطلح، نذكر منها على سبيل المثال:

-يقول برينيو ": Perrnoud الكفاءة هي قدرة الشّخص على تفعيل موارد معرفيّة مختلفة لمواجهة نوع محدّد من الوضعيات."

-يقول رومانفيل :الكفاية تفيد الإدماج الوظيفي للمعارف، نتعلّم لنعمل ونعمل لنكون ونتعلّم لنكون في المستقبل، فالفرد عند مواجهته لمجموعة من الوضعيات فإن الكفاءة تمكّنه من التكيّف ومن حل المشاكل كما تمكّنه من إنجاز المشاريع الّتي ينوي تحقيقها في المستقبل.

-يقول محمّد الدريج ":الكفاية هي قدرات مكتسبة تسمح بالسلوك والعمل في سياق معيّن، ويتكوّن محتواها من معارف ومهارات وقدرات واتجاهات مندمجة بشكل مركّب، يقوم الفرد بتوظيفها وقت الحاجة.

فالكفاءة من هذا المنطلق هي مجموعة منظّمة ووظيفيّة من الموارد(معارف ومكتسبات و قدرات ومهارات...إلخ) تسمح للفرد أمام جملة من الوضعيات بحل مشاكل وتنفيذ مشاريع.

مميزات الكفاءة: لا يمكن لأي تعريف مهما كانت دقته أن يكون جامعا مانعا في حد مفهوم الكفاءة، ولهذا فإنّ التعرف على الكفاءات يحتاج إلى تحديد ومعرفة مميزاتها والتي نحددها في الآتي:

- الكفاءة ذات غاية (هادفة).
- الكفاءة مفهوم مجرد. فهي غير ملموسة وغير مرئية، وما يمكن ملاحظته هو الأنشطة والممارسة ونتائج هذه الأنشطة.
- الكفاءة مكتسبة. فالفرد لا يولد كفؤ لأداء نشاط معين، وإنما يكتسب ذلك من خلال تدريب موجه.
- الكفاءة ذات تشكيل ديناميكي. أي أنّ تحصيلها يتم من خلال تفاعل العناصر والمكونات المختلفة لها.

مفهوم الكتابة:

الكتابة **لغة** هي مصدر الفعل كتب يكتب كتابا وكتابة ومكتبة، وكتبه فهو كاتب، ومعناها الجمع يقال كتبت القوم إذا اجتمعوا، ومنه قيل للمجموعة من الخيل أو الجند كتيبة، وتطلق الكتابة على العلم ومنه قوله تعالى في سورة القلم:﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُم يَكْتُبُون﴾ الآية 44 ، أي يعلمون.

أمّا **اصطلاحا**، فالكتابة هي عمليّة أو مجموعة من الأفعال الذهنية واللغويّة الأدائيّة التّي يمارسها الكاتب أو الفرد لتوليد عدد من الأفكار المرتبطة بموضوع الكتابة، وترجمتها إلى وحدات لغويّة في شكل كلمات وجمل وفقرات، مراعيا قواعد كتابة هذه اللّغة وعوامل الإقناع والتأثير في الجمهور(جمهور القراء المستهدفين.)

. هي عمليّة ذهنيّة أدائيّة مكوّنة من مجموعة من العمليات الّتي تحدث في زمن متزامن تقريبا، وتتّسم بالصّعوبة والتّعقيد لأنّها تقوم على الخلق والابتكار من خلال تحويل الأفكار والمعاني والصّور الذّهنيّة المجرّدة الّتي يمتلكها الفرد(الكاتب)إلى رموز خطيّة مؤثّرة، وفي جملتها عمليّات بنائيّة تراكميّة من حيث الشّكل والمضمون.

–هي ترجمة للفكر ونقل للمشاعر ووصف للتّجارب وتسجيل للأحداث وفق رموز مكتوبة متعارف عليها بين أفراد الجماعة اللّغويّة الواحدة، ولها قواعد ثابتة وأسس علميّة تراعي الذات والحدث والأداة حتّى تكون في الإطار الفكري والعلمي، ليتمّ تداولها وفق نظام معيّن متعارف عليه، لتحمل إنجازات الأمّة من علوم ومعارف وخبرات وشعور، وغير ذلك.

–مفهوم التعبير الكتابي:

التّعبير الكتابي باختصار هو ترميز اللّغة المنطوقة في شكل خطّي مكتوب، ترتبط هذه الأشكال بعضها ببعض وفق نظام اصطلح عليه أصحاب اللّغة في وقت ما، وكلّ شكل من هذه الأشكال يقابل صوتًا لغويًّا يدل عليه، وذلك بغرض نقل الكاتب أفكاره وآراءه إلى الآخرين، وهو عمل لغوي دقيقا مراع للمقام

ومناسب لمقتضى الحال، أو هو قدرة السّيطرة على اللّغة كوسيلة للتّفكير والتّعبير والاتّصال، وهذا يتضمّن مجموعة من المعايير، مثل ادراك الموضوع، وسلامة اللّغة نحوًا وصرفًا وكتابة، وتكامل المعاني وجمال المبنى والمعنى ...إلخ واذا كانت القراءة إحدى نوافذ المعرفة على الفكر البشري، فإنّ الكتابة –في الواقع – أعظم ما أنتجه العقل البشري، وقد ذكر علماء الأنثروبولوجيا أنّ الإنسان حين اخترع الكتابة بدأ تاريخه الحقيقي، والكتابة ليست نشاطا سهلا أو فطريّا، بل هي نشاط مكتسب قوامه الدّراسة والتعلّم والدّربة والمران والممارسة والخبرة، تتطلّب جهدا ذهنيّا واعيا، وقدرة تعبيريّة وفكريّة ناضجة.

ينقسم التعبير الكتابي على غرار الشّفوي إلى:

أ –**تعبير كتابي وظيفي** :هو الذّي يقوم بوظيفة الاتّصال أو أداء هدف معيّن بلغة مناسبة سهلة مباشرة تحمل معانيَ واضحة لا لبس فيها، كالإجابة في الامتحانات، أو كتابة رسالة أو طلب معين...إلخ.

ب –تعبير كتابي إبداعي :وهو الّذي يعتمد اللغة الأدبيّة الراقية، وهي لغة غير مباشرة في الغالب، غير منتظرة فريدة تذهب بالمتلقي بعيدا عن الدّلالات المرجعيّة للكلمات، كلغة الفنون الأدبية المختلفة شعرا أو نثرا .